دور الراوي في بناء الرؤية السردية من منظور الخطاب النسوي: رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح أنموذجا

بطيب فاطمة الزهراء
جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف-
Bettayeb1990@gmail.com

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2018-03-15	2018-04-26	2018-12-01

ملخص :

تسعى هذه الورقة البحثية لدراسة موضوع الراوي الذي يعد مكونا سرديا مهما في تشكيل الرؤية السردية وتبيان مدى فعالية اسهامه في التحليل السردي وذلك لأهمية اتصاله المباشر بالسرد،حيث إنه يمثل ركيزة مهمة في تركيب البنية السردية.

وقد أجرينا دراسة تطبيقه على رواية وطن من زجاج ليسمينه صالح ،وقد أظهرت الدراسة أن الراوي من أهم ركائز البنية التركيبة للسرد بإتاحته الفرصة للكاتب بقص مواد متنوعة من خلال هويات وشخصيات متعددة من أجل الكشف عن الآراء لبلورة الرؤية السردية.

الكلمات المفتاحية: الراوي، الرؤية السردية، الخطاب النسوي ،الأنا الذكوري ، المنظور السردي.

1-تقديم:

تستمد الكاتبة الجزائرية ياسمينة صالح مادتها الروائية من الواقع الجزائري أو بالأحرى من الأزمة التي سادت البلاد "فعرضت وحدة الوطن واستقراره إلى التصدع"[1].بحيث استقطبت هذه الأزمة المخيال السردي للكاتب الجزائري باعتبار أن "القص ما بعد الحداثي يحاول أن يقرأ الواقع كما هو بكل تشظيه وتناقضاته وينقل صراعات الشخصية الفكرية والنفسية ."[2]

ولطالما كان المنجز الروائي الجزائري منذ ميلاه تعبيرا عن الواقع الاجتماعي والسياسي والتاريخي... فنشأته ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمجتمع بكل ما يحمله من ايجابيات وسلبيات ،تنعكس بشكل مباشر على الانسان الجزائري سلوكا وفكرا وعملا،وعليه كان "الطرح الروائي هو الأبرز في التعبير عن حالة الوطن الراهنة والاقتراب من الذات العربية."[3]فالنصوص هذا المنجز في معظمها تجسد إعادة لقراءة الواقع بلغة واضحة وسرد مباشر وصريح تعبيرا عن الأزمات برؤية شمولية فالكثير من الروايات الحديثة عبرت عن آلام وهموم الوطن وواقع الانسان ، وتعد الأزمة الجزائرية نموذجا لذلك اغترفت منه عددا من الراويات موضوعا لها وشكلت مرجعية الخطاب الروائي في تلك الفترة [4].

تشكل رواية **رواية وطن من زجاج** نموذجا حيا يختزل أزمة الواقع الجزائري في مرحلة من تاريخه السياسي حيث جسدت مأساة في حق الشعب الجزائري عانها طيلة عشر سنوات ، أو ما يعرف بالعشرية السوداء التي عمت ربوع الوطن ببشاعة الأعمال الإجرامية بكل أشكاله القتل والذبح والتنكيل ،فوقائع هذه الرواية تسرد حكاية وطن جريح انتهكت حقوقه الإنسانية بأبشع الصور، "جاءت الرواية لتعبر عن واقع الجزائر في مرحلة التسعينيات وتعكس لنا عمق الألم النفسي الذي يسببه موضوع كهذا في نفسية الشخصيات المجسدة في الرواية،تقول أسيا موساوي عن الرواية وطن من زجاج إدانة شجاعة للسلطة التي تخاذلت في الدفاع عن مواطنيها البسطاء والفقراء في المداشر والقرى المدقعة وتركتهم فريسة للوحوش الآدمية التي أشبعت فيهم قتلا وتنكيلا."[5]

يتضح لنا أن كتاب الرواية في الجزائر واكبوا أحداث هذه الفترة فكانت الرواية النموذج الأمثل لتعبير عن مختلف جوانب الأزمة "باعتبار الفن الروائي كعمل إبداعي يتميز عن كافة الأشكال الأدبية الأخرى لقدرته على استيعاب كل التناقضات داخل الصراع الاجتماعي وأيضا القومي."[6]

"فالرواية تقوم بدور الكاهن المعرف والمشرف السياسي ...وصحفي الوقائع اليومية هي تقوم بهذه الأدوار كلها في فن عالمي يهدف أن يحل محل الفنون الأدبية جميعا."[7]

2-مفهوم الرؤية السردية(la vision narrative):

بالعودة إلى فكرة موضوع البحث الذي أثار انتباهنا ليس تلك الأحداث التاريخية التي يمكن لأي باحث دراستها بالتحليل المستفيض ،وإنما نطرح مسألة أخرى لها علاقة بمكون مهم من مكونات الخطاب الروائي وهو الرؤية السردية حيث إنه" لا رواية بلا راوٍ فهو ينقل الأحداث ويقدمها عبر خطاب لغوي وعليه توجب حضور شخصية يخلقها الروائي لفظيا وهي شخصية الراوي التي تعبير عن الأفعال والأحداث وهي تستتر أحيانا خلف شخصيات الرواية فهو يخلق الشخصية المركزية على وفق رؤية معينة ويخلق أخرى مغايرة معارضة لها بالفكر والرؤيا."[8]

وقد أكد تدوروف في كتابه الشعرية بقوله: "ففي الأدب لا نكون أبدا بإزاء أحداث أو وقائع خام وإنما بإزاء أحداث تقدم لنا على نحو معين ،فرؤيتان مختلفتان لواقعة واحدة تجعلان منهما واقعتين متمايزتان ،ويتحدد كل مظهر من مظاهر موضوعٍ واحد بحسب الرؤية التي تقدمه لنا."[9]

ما يمكن استنباطه من كلامه هو التشديد على دور هذا العنصر(الرؤية) وبيان أهميته القصوى داخل الخطاب الروائي.

وقد شاع تداول مصطلح الرؤية السردية كثيرا في دراسات النقد الروائي وظهر من خلال العلاقة التي تربط السارد أو الراوي بالحكاية وبكل عناصرها الأخرى فعرف بتسميات عديدة منها "وجهة النظر –الرؤية-حصر المجال –المنظور –التبئير."[10]

ولعل أوضح تحديد لمفهوم الرؤية السردية في نظر علم السرد(**narrtology**) أنها "تتعلق بالكفية التي يتم بها إدراك القصة من طرف السارد"[11] "بواسطتها يتم تحديد وجهة الراوي وصيغته ،فلا رؤية بلا راوٍ ولا راوٍ بلا رؤية."[12]"فهي تنبع من مفهوم القول والقائل ترتبط مباشرة بالبناء الداخلي للقصة الذي يتمحور حول العلاقات التي يقيمها الراوي مع أشخاص قصته من حيث العرض والتمثيل ، إن استعمال الراوي لبعض التقنيات السردية لتلخيص بعض الأحداث والتأكد على بعض الوقائع أو التعليق على بعض المظاهر أو المشاهد،تكشف حضور راوي طول السرد القصة ،وتبرز مسألتان من مسألة الفن وهي كيف نكتب ولمن نكتب" [13]

نفهم أن الرؤية و الراوي متداخلان لا يمكن فصل أحدهما عن الأخر أو قيام عمل روائي دونهما ،فهي التي تجسد منظور السارد إزاء الحكاية.

وقد صنف الباحث تدوروف الكفية التي يتم بها الإخبار عن الأحداث داخل القصة من طرف الراوي أي (الرؤية السردية) إلى ثلاث رؤى تتمثل في :

أ- الرؤية من الخلف (vision par derrière):

يستعمل هذا الشكل عادة السرد الكلاسيكي في أغلب الأعم في الكثير من النماذج الروائية، "في هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من الشخصية الروائية ،وهو لا ينشغل بأن يشرح لنا كيف اكتسب هذه المعرفة إنه يرى ما يجري خلف الجدران كما يرى ما يجري في دماغ بطله ،فليس لشخصيته أسرار لهذا الشكل طبعا درجات مختلفة قد يتجلى تفوق السارد علما إما في معرفته بالرغبات السرية لدى إحدى شخصيات الرواية...وإما في معرفته لأفكار شخصيات كثيرة في آن واحد ...وإما في مجرد سرد أحداث لا تدركها شخصية روائية بمفردها ."[14]

لا ريب أن في مثل هذه الحالة السارد يكون ملم بكل أبعاد العمل الحكائي وأحداثه أكثر من الشخصيات الأخرى في القصة، يمكن أن نصفه بالراوي المهيمن نظرا لما يملكه من علم ومعرفة ينفرد بها عن بقية الشخصيات .

ب- الرؤية مع(vision avec):

انتشرت هذه الصيغة أيضا في المنجز الروائي وخاصة في العصر الحديث "وفي هذه الحالة يعرف السارد بقدر ما تعرف الشخصية الروائية ،ولا يستطيع أن يمدها بتفسير للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصيات وهنا أيضا يمكن القيام بتمييزات كثيرة ،يمكن القيام بالسرد بواسطة ضمير المتكلم المفرد(الشيء الذي يبرر هذه الطريقة التي يتساوى فيها السارد مع الشخصية الروائية معرفة)أو بضمير الغائب لكن دائما بحسب الرؤية التي تكونها نفس الشخصية عن الأحداث ،فنحن نعرف أن كافكا قد بدأ كتابة رواية القصر بضمير المتكلم المفرد ،وأنه لم يغير الرؤية إلا في المرحلة متأخرة جدا حيث انتقل إلى كتابتها بضمير المفرد المذكر الغائب ،لكن دائما حسب مظهر السارد =الشخصية الروائية."[15]

تتساوى في هذه الرؤية معرفة السارد مع الشخصيات الأخرى بالمعلومات يمكن أن نطلق عليها رؤية مصاحبة أي مع ،نظرا لكون الراوي يتصاحب مع الشخصيات ويمدها بأحداث العمل الحكائي.

ج- الرؤية من الخارج (vision par dehors):

يتميز هذا النمط من الرؤية بقلة معرفة الراوي بمجريات العمل الحكائي ،فلا يمكن أن ينفذ إلى أعماق الشخصيات الروائية لينقل لنا ما تشعر به ،وبالتالي يكون جاهلا ومعرفته محدودة جدا أي أن "يعرف السارد أقل مما تعرف الشخصيات الروائية ،وقد يصف لنا ما نراه وما نسمعه لا أكثر لكنه لا ينفذ إلى أي ضمير من الضمائر ،وضروب السرد التي من هذا النوع أقل بكثير من أنواع السرد الأخرى."[16]

رأينا سابقا أن تدوروف اعتنى بمفهوم الرؤية السردية ،وبناء على عمله قدم جنيت تقسيما ثلاثيا لرؤية لكنه استبعد هذا المفهوم وعوضه **بالتبئير(focalisation)**،وصنفه على النحو الآتي:

أ-التبئير الصفر أو اللاتبئير :الذي نجده في الحكي التقليدي .

ب-التبئير الداخلي :سواء كان ثابتا أو متحولا أو متعدد

ج-التبئير الخارجي :الذي لا يمكن فيه التعرف على دواخل الشخصية .[17]

يمكن أن نلخص ماسبق ذكره على النحو الآتي :

-الرؤية من الخلف (تبئير الصفر): السارد يعرف أكثر من الشخصية ،توظيف ضمير الغائب أي أنه راوٍ خارجي

-الرؤية مع (تبئير داخلي):السارد يعرف ما تعرفه الشخصية الروائية استعمال ضمير المتكلم في الغالب أي أنه راو مشارك في أحداث القصة .

-الرؤية من الخارج (تبئير خارجي):السارد يعرف أقل من الشخصية توظيف ضمير الغائب يتحول الراوي هنا إلى شاهد من الخارج .

3- تجليات الرؤية السردية في رواية وطن من زجاج :

إن المتصفح لرواية وطن من زجاج يرى أن الكاتبة اعتمدت على تقنية "الرؤية مع" ،أي أن الراوي مشارك في أحداث القصة و يسرد بضمير المتكلم ويتجلى ذلك من خلال هذا المقطع السردي "من أنا ؟لعلي أفكر في تفاصيل البداية التي ظلت تطاردني كما ظلت تطاردني كما ظلت تربطني إلى قناعاتي القديمة بأني لاأمثل شيئا في النهاية تشدني تلك البداية من يدي ،بحميمية ذلك العام الصيفي ...أجل أتذكر أيامها وأنا بعد في السادسة من العمر ،حين كان يجرني جدي من يدي ويصطحبني معه." [18]

لعل السارد هنا يتذكر طفولته التي عاشها في القرية الصغيرة فهو لا يكتفي بنقل الأحداث بل يشارك في صنعها كشخصية رئيسية ،مكنت السارد من استحضار ماضيه وربطه بحاضره.

يتكرر حضور هذا النمط في الراوية من خلال قول السارد "من أنا ؟في العاشرة من العمر بدأت تتبلور أمامي أبعاد القرية النائية ،بتفاصيلها ومدرستها الوحيدة التي كان يرسلني إليها جدي لأتعلم أشياء لم تكن تعنيني في النهاية."[19]

يعود الراوي هنا بذاكرته إلى الطفولة من أجل البوح عم يختلج في نفسه من مشاعر ضياع ،حتى يصورها للقارئ ويعرفه على جوانب شخصيته المختلفة .

من تقنيات هذه الرؤية "الحوار المفرد لأنه الصيغة الأمثل في التعبير عن الذات "[20] ، نقصد به الحوار الداخلي وهو يختص "بالحديث عن الحوار الذي يقيمه الانسان مع ذاته ليكشف لنا عمق الأحاسيس التي تختلج النفس في صورة تحاور نفسي ...كونه هو الأقدر على الولوج إلى عالم النفس و الذات للتتبع عوالمها ووصف الحالة النفسية التي من شأنها تحرك خيال القارئ وتدعوه لاكتشاف أغوار الشخصيات في الرواية."[21]

ينبغي القول أن الموضوع الذي تبنته الكاتبة يشكل ضغطا نفسيا للشخصيات ظهر ذلك من خلال الحوار الداخلي لذات الساردة في الرواية ،ومن نماذج ذلك :

"حين تساءلت بيني وبين نفسي فجأة :كيف يمكن تفسير هذه العبثية المطلقة ..كيف يمكن تفسير هذا الهباء؟."[22]

"تساءلت بيني وبين نفسي :ماذا أكتب فعلا ؟ماذا يمكن أن أكتب في هذه البلاد ؟في زمن آخر كانت للكتابة خاصية مختلفة وطعم آخر ... كانت الكتابة تقول شيئا ... حين يسأل أحدهم الآخر ماذا يكتب يقول له :أكتب وطنا أعيشه.هل يمكن السكن في جملة أو في نص أوفي مقال؟..."[23]

يقوم الراوي باعتباره الشخصية الرئيسية بسرد أحداث تخصه لها علاقة بوقائع العمل الروائي باعتماد على الحوار الداخلي **(monlogue)** أتاح لنا معرفة دواخل نفسية الراوي وما يختلج في نفسه من مشاعر وعواطف .

يعود الراوي للحوار بضمير الأنا بقوله "من أنا حقا ياصاحبي ؟ ... من أنا حقا؟ أيهما أحق بالرد على السؤال أنا أم الوطن ؟

من أنا حقا ؟

يا لهي ..كم يبدو العمر خاليا من الجدوى !"[24]

إن هذه الأسئلة المتكررة في نفس السارد دفعت به للبحث عن موقع في هذا الوطن الذي يشعر فيه بالاغتراب والضياع وهذا ينعكس أيضا على الشخصيات الروائية الأخرى التي تشعر بما يشعر به السارد.

من خلال هذه الرؤى تتحدد للراوي وظائف داخل المنجز الروائي تتمثل في :

-الوظيفة السردية :هي التي لايخلو منها أي عمل روائي ،فالسارد هنا يقوم بنقل مجريات الحكي التي تقع في الرواية.

-وظيفة التواصل والإبلاغ :تتمثل في سعي الراوي لنقل رسائله للقارئ

-وظيفة الاستشهاد:يحاول الراوي أن يثبت صدق الأحداث ،حيث يوظف السارد في الرواية مصادر استمد منها معلوماته .

4-نتائج البحث :

-جسدت الروائية ياسمينة صالح من خلال رواية وطن من زجاج الوضع السياسي والتاريخي للجزائر في فترة التسعينيات .

- السرد بضمير المتكلم على لسان الشخصية الساردة الذي شارك في الأحداث كعنصر رئيسي

-الاعتماد على الحوار الداخلي الذي يسمح بكشف الحالة النفسية للشخصيات - الاعتماد الحاضر بالعودة إلى الماضي من أجل ربط الحاضر بالماضي .

- اتخذت الكاتبة السرد بصيغة المذكر سلاحا لها لتواجه به الحاضر.

هوامش البحث:

[1] دليلة مروك ،تحولات السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة ياسمينة صالح أنموذجا ،أعمال المؤتمرات المؤتمر الدولي الثاني عشر الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي ،مركز جيل البحث العلمي ،طرابلس ،لبنان ،22/21أغسطس 2016،ص146.

[2] مصطفى عطية جمعة ،مابعد الحداثة في الرواية العربية الجديدة (الذات ،الوطن ،الهوية)،الوارق للنشر والتوزيع ،عمان ،2011،ط1،ص34.

[3] المرجع نفسه ،ص 40.

[4] ينظر المرجع السابق ،ص 146.

[5] جميات منى ،التشكيل اللغوي في رواية وطن من زجاج ،ص53.

[6] أحمد عطية ،الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، مكتبة مدبولي للنشر ،القاهرة دت ،دط ،ص 07.

[7] يحي بن الطاهر ،واقع المثقف الجزائري من خلال رواية تجربة في العشق ،منشورات تبيين والجاحظية، دم دت ،دط ،ص 09.

[8] عادل ناجح عباس ،أسلوبية الرؤية السردية في رويات طه حامد الشبيب ،إشراف غركان عبادي ،جامعة النجف ،2016،ص 02.

[9] تزفيطان تدروف ،الشعرية ،تر شكري مبخوث ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء المغرب 1987،ط1،1990،ط2،ص 51.

[10] سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي (الزمن –السرد –التبئير) ،المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع بيروت ،لبنان ،الدار البيضاء دت،ط3، ص284.

[11] تزفيطان تدروف ،طرائق تحليل السرد الأدبي دراسات (مقولات السرد الأدبي) ،تر الحسين سحبان وفؤاد صفا ،منشورات اتحاد الكتاب العرب المغاربة ،الرباط ،1992،ط1،ص61.

[12] زهرة بنيني ،بنية الخطاب الروائي ،رسالة دكتوراه ،إشراف الطيب بودربالة ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ،قسم اللغة العربية و آدابها جامعة العقيد حاج لخضر ،2008/2007،ص235.

[13] موريس أبو ناظر ،الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ،دار النهار للنشر ،بيروت 1979،دط ص109.

[14] المرجع السابق طرائق تحليل السرد الأدبي ،ص 58.

[15] المرجع السابق طرائق تحليل السرد الأدبي ،ص 58-59.

[16] المرجع السابق طرائق تحليل السرد الأدبي .ص 59.

[17] سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي ،ص 297.

[18] ياسمينة صالح ،وطن من زجاج ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، العاصمة ،الجزائر 2006،ط1،ص28.

[19] المصدر نفسه ،ص 32.

[20] عادل ناجح عباس ،أسلوبية الرؤية السردية في روايات طه حامد الشبيب ،ص 09.

[21] جميات منى ،التشكيل اللغوي في رواية وطن من زجاج ،ص 74/73.

[22] ياسمينة صالح ،وطن من زجاج ،ص 07.

[23] المصدر نفسه ،ص 26.

[24] المصدر نفسه ،ص 27/26.